[١٩] قصة الحية والسكران [١]

عن يوسف ابن الحسين يقول : كنت مع ذى النون المصري على شاطئ غدير فنظرت إلى عقرب أعظم ما يكون على شطّ الغدير واقفةٍ ، فإذا بضفدع قد خرجت من الغدير ، فركبتها العقرب فجعلت الضفدع تسبح حتى عبرت ، فقال ذو النون : إن لهذه العقرب لشأناً فامض بنا ، فجعلنا نقفو أثرها فإذا رجل نائم سكران ، وإذا حية قد جاءت فصعدت من ناحية سرته إلى صدره وهى تطلب أُذُنَه ، فاستحكمت العقرب من الحيّة فضربتها : فانقلبت وانفسخت ، ورجعت العقرب إلى الغدير ، فجاءت الضفدع فركبتها فعبرت ، فحرك ذو النون الرجل النائم ، ففتح عينيه ، فقال : يا فتى ! انظر مما نجّاك الله ، هذه العقرب جاءت فقتلت هذه الحيّة التى أرادتك ، ثم أنشأ ذو النون يقول :

يا غافلاً وَالجليلُ يَحرُسُهُ ... مِنْ كلّ سُوءٍ يدبُّ في الظُّلَمِ

كيف تَنَامُ العُيونُ عن ملك ... تأتيه منْهُ فَوائِدُ النِّعَمِ

فنهض الشاب وقال : إلهى ! هذا فعلك بمن عصاك فكيف رفقك بمن يطيعك ؟ ثم ولى ، فقلت : إلى أين ؟ قال : إلى طاعة الله .

---

(١) التائبون إلى الله ، للحازمى .

[٢٠] قصة الجساسة

قضى رسول الله ﷺ صلاته وجلس على المنبر وقال : « **ليلزم كل إنسان مُصلاهُ** » ثم قال : « **أتدرون لمَ جمعتُكُمْ ؟** » .

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : إنى والله ما جمعتكم لرغبةٍ ولا لرهبةٍ ، ولكن جمعتكم لأن تميماً الدارى [١] **، كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم ، وحدثنى حديثاً وافق الذى كنت أحدثكم عن مسيح الدجال .**

حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهراً فى البحر ، ثم أرفؤوا [٢] **إلى جزيرة فى البحر حتى مغرب الشمس ، فجلسوا فى أقرب السفينة** [٣] **، فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهْلبّ** [٤] **كثير الشعر لا يدرون ما قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ** [٥] **من كثرةِ الشعر .**

فقالوا : ويلك من أنت ؟ .

فقالت : أنا الجساسةُ .

قالوا : وما الجساسةُ ؟ .

---

(١) هذا معدود فى فضائل تميم الدارى رضي الله عنه ، لأن النبى ﷺ روى عنه هذه القصة ، وفيه رواية الفاضل عن المفضول .

(٢) ارفؤا إلى الجزيرة : أى التجأوا إليها .

(٣) أقرب السفينة : هى سفينة صغيرة تسمى بالقارب تكون مع الكبيرة ، ينصرف فيه ركاب السفينة لقضاء حوائجهم .

(٤) الأهلب : غليظ الشعر كثيره .

(٥) أى مقدمه من مؤخرته .

قالت : أيها القوم ، انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير ، فإنه إلى خبركم بالأشواق [١] .

قال : لما سَمَت لنا رجلاً فَرِقْنَا منها [٢] أن تكون شيطانة .

قال : فانطلقنا سِراعاً حتى دخلنا الدير ، فإذا فيه أعظم إنسان [٣] رأيناهُ قط خلقاً ، وأشدهُ وثاقاً ، مجموعةً يداه إلى عنقه ، ما بين رُكبتيه إلى كعبيه بالحديد .

قلنا : ويلك من أنت ؟ .

قال : قد قدرتُمْ على خبرى ، فأخبرونى ما أنتم ؟ .

قالوا : نحن أُناس من العرب ركبنا فى سفينةٍ بحريةٍ فصادفنا البحر حين اغتلم [٤] فلعب بنا الموجُ شهراً ، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه ، فجلسنا فى أقربها ، فدخلنا الجزيرة ، فلقيتنا دابةٌ أهْلَبُ كثير الشعر ، لا يدرى ما قُبُلهُ من دُبُرِهِ من كَثَرة الشعر .

فقلنا : ويلك من أنت ؟ فقالت : أنا الجساسة .

قلنا : وما الجساسةُ ؟ قالت : اعمدُوا إلى هذا الرجل فى الدير ، فإنه إلى خبركم بالأشواق ، فأقبلنا إليك سِرَاعاً ، وفزعْنَا منها ، ولم نأمن أن تكون شيطانة .

فقال : أخبرونى عن نخل بَيْسَانَ [٥] ؟ .

---

(١) أى شديد الأشواق إليه .
(٢) فرقنا : خفنا .
(٣) أعظم إنسان : أى أكبره جثة ، أو أهيب هيئة .
(٤) حين اغتلم : أى هاج وجاوز حده المعتاد ، والاغتلام أن يجاوز الإنسان ما حد له من الخير والمباح .
(٥) نخل بيسان : هى قرية بالشام .

قلنا : عن أى شأنها تستخبر ؟ .

قال : أسألكم عن نخلها ، هل يثمر ؟ .

قلنا له : نعم .

قال : أما إنه يوشك أن لا تثمر .

قال : أخبرونى عن بحيرة طبرية [١] ؟ .

قلنا : عن أى شأنها تستخبرُ ؟ .

قال : هل فيها ماءٌ ؟ .

قالوا : هى كثيرةُ الماء .

قال : أما إن ماءها يرشك أن يذهب .

قال : أخبرونى عن عين زُغَرَ [٢] ؟ .

قالوا : عن أى شأنها تستخبرُ ؟ .

قال : هل فى العين ماءٌ ؟ وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ .

قلنا له : نعم ، هى كثيرة الماء ، وأهلها يزرعون من مائها .

قال : أخبرونى عن نبى الأميين ما فعل ؟ .

قالوا : قد خرج من مكة ونزل يثرب .

قال : أقاتله العرب ؟ .

قلنا : نعم .

---

(١) بحيرة طبرية : هى بحر صغير معروف بالشام .

(٢) عين زغر : هى بلدة معروفة فى الجانب القبلى من الشام .

obeikandl.com

قال : كيف صنع بهم ؟ .

فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه .

قال لهم : قد كان ذلك ؟ .

قلنا : نعم .

قال : أما إن ذاك خيرٌ لهم أن يطيعُوهُ ، وانى مخبركُمْ عنى .

إنى أنا المسيح [١] ، وانى أوشك أن يُؤذَنَ لى فى الخُرُوج ، فأخرج فأسيرُ فى الأرض فلا أدعُ قريةً إلا هبطتُهَا فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة [٢] ، فهما مُحرمتان علي كلتاهُما ، كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحداً منهما ، استقبلنى ملك بيده السيف صَلْتاً [٣] يصدُّنى عنها ، وان على كل نقبٍ منها ملائكة يحرسونها .

قالت [٤] : قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته فى المنبر :

« هذه طيبة ، هذه طيبة ، هذه طيبة » يعنى المدينة .

ألا هل كنت حدثتكم ذلك ؟ » .

فقال الناس : نعم .

« فإنه أعجبنى حديث تميم أنه وافق الذى كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة ، ألا إنه فى بحر الشام أو بحر اليمن ، لا بل من قبل المشرق » [٥] وأومأ بيده إلى المشرق .

---

(١) أى : المسيح الدجال .

(٢) طيبة : هى المدينة ، ويقال لها أيضاً : طابة .

(٣) صلتاً : أى مسلولاً .

(٤) أى راوية الحديث فاطمة بنت قيس ، أخت الضحاك بن قيس .

(٥) صحيح ، أخرجه مسلم «١٨/٧٩-٨٣» وأبو داود ٤٣٠٤ ، والطبرانى «٢٤/٣٨٨» فى الكبير .

[٢١] من المسئول ؟!! [1]

جلس رجل الأعمال المليونير الكبير فى شرفة فندق الأوراس المطل على البحر المتوسط بالجزائر وظل يتفكر فى حياته ، لقد قضى حياته كلها باندفاع بحثاً عن المال والصفقات فى كل أنحاء العالم حتى أصبح مليونيراً ... وهو يذكر جيداً أن الليالى التى قضاها من عمره فى فنادق العالم أضعاف الليالى التى قضاها فى بيته ... وتذكر المليونير أسرته ... زوجته الصغيرة الجميلة ، وابنه الذى سيأخذ الشعلة منه ، ويدير شركاته وأعماله ، وأخذ رجل الأعمال يتذكر فى أى سنة دراسية يكون ابنه ، فلم يعرف ،كل الذى يدريه أن ابنه بكلية الهندسة .. وأثناء هذه الأحلام .. دق جرس التليفون فى غرفته ... وكانت المكالمة من القاهرة ... والمتحدث على غير العادة شقيقه :

احضر فوراً .. زوجتك تحتضر ...

● انقلها فوراً بالطائرة إلى أوروبا .. أريد أن تعيش وبكى رجل الأعمال لأول مرة فلقد تبخرت آماله فى لحظة .. ولكنه سيضع كل ثروته مقابل أن تعيش زوجته ... .

وفى مطار القاهرة كان شقيقه الأكبر فى انتظاره لم يكن قد رآه منذ سنوات فلقد كان مشغولاً حتى عن زيارته لشقيقه الوحيد .. فلما سلم عليه قال له : تماسك لقد ماتت متأثرة بجراحها .. وبكى .. بكى طويلاً .. ووسط دموعه سأل شقيقه : كيف ماتت ... وأين هى ؟ ... قال : فى المشرحة ...

---

(١) بتصرف واختصار من كتاب شباب فى دائرة الموت لوجيه أبو ذكرى .

– قال الزوج : المشرحة ؟ !! قال : نعم ، والجنازة غداً .. أجلناها حتى تكون من مودعيها .. قال رجل الأعمال : وأين ابنى ؟ قال : لم يتمكن من الحضور – حزين عليها – طبعاً ، وساد صمت رهيب ، رجل الأعمال شارد فى ماضيه شريط طويل من الذكريات معها ، كانت معه كالنسيم واتجه شقيقه بالسيارة فى اتجاه غير اتجاه قصر رجل الأعمال فقال له : إلى أين ؟ فقال الأخ إلى بيتى أولاً .. قال : لماذا ؟ هل تخفى شيئاً ؟ قال شقيقه : لا ، ولكن أرجوك لا تعارضنى وبكى شقيقه ، ودخل الشقيقان فى غرفة الصالون وأغلق عليهما الباب .. فقال رجل الأعمال : أشعر أن هناك أمراً أعظم من الموت فقال شقيقه : المأساة قاسية .. لا تُصَدَق .. لقد اتصل بى ضابط الشرطة وطلب منى الحضور للقسم فوراً .. وذهبت فوجدت ابنك ممزق الثياب وعلى ملابسه بقع من الدماء .. وفى حالة ذهول يجلس على الأرض وكاد قلبى يتوقف وسألت .. ماذا جرى ؟ .. فنظر إلىّ ابنك وارتمى على صدرى وظل يبكى ويبكى ثم سألت الضابط ، فقال لى جملة سقطت بعدها فاقد الوعى . قال : البيه المدمن قتل أمه ! وصرخ رجل الأعمال وهو يستمع إلى شقيقه .. وقال بكلمات صادرة من قلب مكسور .. آه .. لقد انتهت حياتى .

وبدأ الأب فى متابعة سماع المأساة .. إن ابنه الوحيد طعن أمه بسكين المطبخ حتى ماتت ثم ذهب إلى قسم الشرطة وقال جملتين فقط : أنا فلان ابن فلان .. قتلت أمى بهذا السكين .. ورفض أن يتكلم بعدها .. كما رفض الإجابة عن أى سؤال .. وفتشوه فوجدوا معه تذكرة هيروين وأمرت النيابة بتشريح الجثة ثم صرحت بدفنها .. هذه هى المأساة .

قال رجل الأعمال : لماذا قتلها ؟ قال شقيقه : لا أحد يعرف حتى الآن ،

وانتهت مراسم الجنازة وودع الرجل زوجه حتى القبر ، وخلال ذلك فشلت الصحافة والشرطة والنيابة فى معرفة الدافع لهذه الجريمة التى فاقت كل حد .

وحللت إحدى الصحف الجريمة فقالت : « هذا الشاب يرفض الحديث ، هو لاشك مدمن هيروين حيث عثر معه على كمية ضئيلة منه وكان فى حاجة إلى مال ، فطلبه من والدته الثرية زوجة المليونير فرفضت فهددها بالسكين فلم تتصور وهى الأم أن يرفع ابنها السكين عليها ، فأصرت على الرفض فنفذ تهديده وقتل أمه .. وعندما سلم نفسه إلى الشرطة كان فى حالة وعى من هول المأساة فشعر بالندم فسكت انتظاراً لحبل المشنقة .. هذا تصورنا للحادث الذى هز المجتمع وكثرت تفسيراته أمام صمت الشاب القاتل الذى فصل من كلية الهندسة حيث عاش أسير الهيروين » قرأ المليونير هذه المقالة فى الصباح قبل أن يذهب إلى ابنه وسأل نفسه : أين كنت يا رجل الأعمال ؟ ابنك كان مفصولاً من الكلية وأنت لا تدرى ؟ .. ابنك أدمن الهروين وأنت لا تدرى ؟ .. ليت هذه الأموال التى جمعتها تضيع كلها وتعود لى أسرتى .. وذهب الرجل إلى ولده ... وكان لقاءً مؤثراً بين الوالد وابنه .. بعد أن أغلق الحارس الباب عليهما وساد صمت قطعه الابن حين ارتمى فى أحضان أبيه قائلاً : أرجوك ضمنى إلى صدرك بشدة أكثر .. احتاج إلى هذا .. محروم منه .. ما أقسى الحياة .. آسف لم أكن فى وعيى ، عاد لى الوعى عندما خرجت نافورة الدم الأولى من جسد أمى .. أبداً لم تكن تستحق هذا .. دعنى لأبكى على صدرك ، فلم أكن أعرف الدموع .. ورجل الأعمال لا يدرى ماذا يقول : هل يتعاطف مع ابنه الذى قتل شريكة حياته ؟ لقد أحدث هذا الموقف خللاً فى مشاعره ... بل زلزالاً فى هذه المشاعر .

وبدأ الشاب يروى لوالده : لقد عرفت الهيروين للتسلية والجنس ولكنه قتل فيَّ كل شيء .. الطموح والخُلق ، ودفعنى وأصحابى من المدمنين إلى الجريمة .. سرقنا ...كم سرقت من أمى ؟ وكم هى اتهمت الشغالة ؟ .. حتى عرفت أننى أتعاطى الهيروين وهددتنى بأنها سوف تبلغك إن لم أتوقف ، فادعيت لها أننى توقفت ... ولكن كل تصرفاتى تفضحنى وزادت حاجتى للمال لشراء الهيروين وطلبت منى أمى أن أدخل إحدى المصحات للعلاج فرفضت ، وبندم شديد قال : حتى كان يوم الجريمة ، كنت فى حاجة ماسة إلى مال لأشترى هيروين ، وطلبت منها ألف جنية وأخبرتها أننى صدمت سيارة بسيارتى ولكنها رفضت وإذا بالحاجة إلى الهيروين تدفع إلى رأسى بفكرة جنونية ، هددتها بأنها إذا لم تدفع لى الألف جنية فسأخبرك بأنها على علاقة برجل ... فصفعتنى وبصقت فى وجهى ... وإذا بهذه الفكرة الجنونية الكاذبة تتحول إلى شبه واقع أمامى وأن أمى حقاً على علاقة برجل آخر ، هكذا صور لى الهيروين الوهم حقيقة وتضخمت الأمور أمامى .. وتصورت ما يحدث بين العشيق وعشيقته، والعشيقة هنا أمى إذن هذه المرة يجب أن تموت .. وأسرعت إلى المطبخ .. وجئت بالسكين وطلبت الألف جنيه من هذه الخائنة فرفضت فكانت الجريمة البشعة .. وماتت أشرف امرأة فى الوجود .. وما أن انتهى الشاب من سرد روايته إلى والده إذ بأبيه يخرج من الغرفة دون كلام أو وداع ونادى الولد على والده ، فلم يرد الوالد ، ثم نادى مرة .. ومرة .. ومرة .. قائلاً : أنت السبب .. أنت السبب وظل الشاب المدمن يقول : إن والده هو السبب وهو الذى دفعه لكل هذا لعدم رعايته له ... الشاب لم يقدم للمحاكمة لقد فقد البقية الباقية من عقله .. تم إيداعه مستشفى الأمراض العقلية .. وهو يقول لكل من يقابله : أنت السبب وأمى أشرف امرأة فى الدنيا .. أمى أشرف امرأة فى الدنيا ... .

فى حى الدقى يوجد مسجد فى ميدانه عندما تدخله لتأدية الصلاة ستجد بداخله رجلاً يرتدى جلباباً أبيض ويضع أمامه كتاب الله يقرأ فيه وعندما ينتهى من التلاوة يرفع كفيه إلى السماء : اللهم اغفر لى وسامحنى يارب العالمين ، هذا الرجل هو نفسه رجل الأعمال .. الذى تبرع بكل ما يملك لإدارة مكافحة المخدرات ... وأخذ من بيت الله مكاناً كى يرحمه ... وعندما تؤدى الصلاة بجواره سيصافحك بحرارة ويطلب منك بلطف وآدب أن تعطيه من وقتك القليل وسوف يروى لك هذه القصة بكل تفاصيلها وسيبكى كثيراً وهو يسرد القصة ثم سيطرح عليك سؤالاً محيراً ؟ من المسئول عن كل هذا ؟ من ؟ من ؟ ..

obeikandl.com

[٢٢] المزحة القاتلة (١)

منذ ودعته لينتقل إلى بلد آخر للدراسة وهى لا تتوقف عن التفكير فيه والحديث مع الجارات عنه .. إنه وحيدها وفلذة كبدها ... لكم اشتاقت إليه .. تنهدت أم أحمد وهى تعد الأيام الأخيرة لابنها فى بلاد الغربة البعيدة ... .

الحمد لله ... أيام ويعود ... كم اشتقت إليك يا بنى ... .

ويتراءى لخيلتها وهو يلقى بالحقائب ويهرع نحوها ليقبل يديها ويمنحها بسمته الحانية .. ترمق الماضى وتتذكر كيف كان يملأ عليها البيت سروراً وسعادة ... وكيف تعبت كثيراً حتى بلغ مبلغ الرجال وصار يشار إليه بالبنان لاجتهاده وذكائه .. شعرت بأنه آن الأوان لتقطف ثمرة جهدها وترى ابنها طبيباً ماهراً له مكانته ... .

تستيقظ من شرودها على رنين الهاتف ... تنهض من أريكتها وتسرع وهى تعتقد أن الذى سيكلمها هو ابنها ... .

لابد أنه أحمد ... سيخبرنى بموعد قدومه .. وترفع السماعة ونبضات قلبها تخفق ... من ... ؟! من المتكلم ؟ .

وتصفعها كلمات حارقة تنبئها بالفاجعة ... ابنك يا أم أحمد لقد اصطدم بسيارته ومات .. تتغير ملامح وجهها وينعقد لسانها .. تصاب بالذهول .. تسقط السماعة من يدها ... تضطرب قليلاً ثم تهوى على الأرض ... .

ويقدر الله عز وجل أن يأتيها قريب لها فى ذلك الوقت ليسأل عنها ...

---

(١) حوادث واقعية . لحميدى .

يطرق الباب فلا يجيب أحد .. يحرك مقبض الباب فيجده مفتوحاً ... .

ترى ما الأمر ؟!

يلج المنزل ليفاجأ بأم أحمد ملقاة على الأرض غائبة عن الوعى ... يسرع ينقلها إلى المستشفى ...

ويصل أحمد إلى بلدته ويسرع والشوق يدفعه لرؤية أمه التى يحبها حباً عظيماً ، وصل البيت وهو يحلم بأنه يزف لأمه بشرى نجاحه ، ويدخل المنزل ليفاجأ بعدم وجود أحد بداخله يسأل عن أمه فيعلم أنها فى المستشفى ... يستقل سيارته ويسرع للإطمئنان عليها ، ينهب بسيارته الأرض ليصل فى أسرع وقت ممكن .. ويمضى دون أن ينتبه لمخاطر الطريق .. وينفجر إطار سيارته عند منعطف حاد فتنقلب سيارته وتتحطم .. يسرع الناس لإنقاذه .. يخرجونه من السيارة والدماء تغطى جسده ... ينقله أحدهم بسيارته للمستشفى .. يصل وقد فارق الحياة ... تصحو أمه وتعلم بقصته .. تشهق من شدة الأسى وتنهار ... لاحول ولا قوة إلا بالله ... لقد ماتت .. !! .

obeikandl.com

[٢٣] قصة صرع عمر رضي الله عنه لجني

عن أبى وائل رضي الله عنه قال : قال عبد الله رضي الله عنه : لقى الشيطان رجلاً من أصحاب النبى ﷺ فصارعه ، فصرعه المسلم وأزَمَ بإبهامه ، فقال : دعنى أعلمك آية لا يسمعها أحد منا إلا ولى ، فأرسله . فأبى أن يعلمه ، فصارعه . فصرعه المسلم وأزم بإبهامه فقال : أخبرنى بها فأبى أن يعلمه ، فلما عاوده الثالثة قال : الآية التى فى سورة البقرة ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ [١] ، إلى آخرها فقيل لعبد الله : يا أبا عبد الرحمن من ذلك الرجل ؟ .

قال : من عسى أن يكون إلا عمر رضي الله عنه .

وفى رواية عنده عن ابن مسعود رضي الله عنه أيضاً : قال : لقى رجل من أصحاب النبى ﷺ رجلاً من الجن فصارعه فصرعه الإنسى ، فقال له الجنى : عاودنى ، فعاوده ، فصرعه الإنسى ، فقال له الإنسى : إنى لأراك ضئيلاً شحيباً كأن ذُرَيعتيك ذُريعتا كلب ، فكذلك أنتم معاشر الجن ؟ أو أنت منهم كذلك ، قال لا والله إنى منهم لضليع ولكن عاودنى الثالثة فإن صرعتنى علمتك شيئاً ينفعك ، فعاوده فصرعه ، فقال : هات علمنى قال : هل تقرأ آية الكرسى ؟ قال : نعم . قال : إنك لن تقرأها فى بيت إلا خرج منه الشيطان له خبج كخبج الحمار لا يدخله حتى يصبح . قال رجل من القوم : يا أبا عبد الرحمن ، من ذلك الرجل من أصحاب النبى ﷺ ؟ قال : فعبس عبد الله وأقبل عليه وقال : من يكون هو إلا عمر ؟؟ [٢] .

---

(١) سورة البقرة الآية « ٢٥٥ » .

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير « ٨٨٢٤/٩ » مجمع الزوائد « ٧١/٩ » ، قال رجال الرواية الثانية رجال الصحيح دلائل النبوة للبيهقى « ١٢١/٧ » ، ودلائل النبوة لابن نعيم « ص ١٣١ » .

[٢٤] الباب المفتوح (١)

على الرغم من أننى كنت مشتغلاً بدراستى الجامعية إلا أن لدى بعض الوقت أقضيه فى مزاولة هوايتى المفضلة – كما يقال – وهى المراسلة ... .

فقد اشتركت فى مجلة دولية للمراسلة ... وكانت لى علاقات مع أصدقاء كثيرين فى أنحاء العالم ، فقد كنا نتبادل الصور والطوابع ، وفى نهاية السنة الثالثة الجامعية وقبل اقتراب العطلة الصيفية فكرت فى أن أسافر لعدة دول ..

أولاً : أتعرف على تلك الدول .

ثانياً : أتعرف على الأصدقاء الذين لى علاقة ببعضهم منذ سنتين أو أكثر .

من الناحية الاقتصادية : الموضوع بالنسبة لى سهل حيث أننى لن أصرف مبالغ كثير ... سأحل ضيفاً على الأصدقاء لمدة يومين أو ثلاثة ... إلى أسبوع .

ومن جهة أخرى سيقوم الأصدقاء بتعريفى على الأماكن الأثرية والمواقع السياحية فسأكون محفولاً مكفولاً .

نظمت خط سير رحلتى من المملكة فقررت أن أزور فرنسا أولاً ثم ألمانيا بعد ذلك أغادر إلى أسبانيا ثم إلى المغرب ثم إلى مصر وأخيراً أعود إلى بلادى .

وخط سيرى هذا رتبته مع العديد من الأصدقاء الذين فى هذه الدول ورحبوا بزيارتى ... كما أننى لم أرتبط بحجز للسفر .. بل تركت الأمور حسب ارتياحى فى كل دولة ..

أنهيت العام الدراسى ونجحت ولله الحمد بتفوق .. أخبرت أهلى بسفرى .. لم يكن لديهم ممانعة فى ذلك .. أحضرت آلة تصوير وبعض الأوراق الضرورية .

---

(١) الزمن القادم « عبد الملك القاسم » .

كما أننى لم أنس عناوين وهواتف الأصدقاء .. أقنعت نفسى أننى سأسافر للسياحة .. لا للمظاهر والبهرجة .. لذا اشتريت من الملابس أبسطها .. وحملت من المال ما يكفينى .

لغتى الإنجليزية لم تساعدنى فى محطتى الأولى حيث يتكلم الشعب الفرنسى اللغة الفرنسية ولكن عندما ركبت سيارة أجرة من المطار إلى مدينة باريس .. عرفت أن اللغة الإنجليزية يتحدثها أصحاب الفنادق والمحلات الكبرى .

نزلت فى فندق متواضع وكان الجو بارداً .. وملابسى يبدو أنها لن تقوم بالواجب .. فجسمى بدأ يرتعش من البرد .. الليلة الأولى مضت .

وسرنى أننى عندما اتصلت على صديقى وكان فى مدينة بعيدة عن باريس وأخبرته بقدومى .. أظهر لى السرور وأخبرنى أنه سينتظرنى غداً عند محطة القطار فى مدينته .. فى الغد حملت حقيبتى وركبت القطار .. ولا شك أننى عاتبت نفسى لكثرة إلتقاطى للصور .. خوفاً من نفاد الأفلام التى معى .. ولكن المناظر الطبيعية .. تأسرك بجمالها .. قبل وصول القطار بفترة أخرجت صورة صديقى الفرنسى أتفحصها .. لكى أتعرف عليه .. فأنا لم أره ولم يرنى من قبل ، ولم أجد صعوبة عند توقف القطار ونزولنا فى التعرف على صديقى .

سار بنا إلى منزله .. وكان يتكلم الإنجليزية .. لغة المراسلة بيننا ، قضيت أياماً جميلة عندهم .. امتدت لخمسة أيام ، ثم بعد أن شاهدت مدينته وزرت مناطق السياحة فيها .

سافرنا سوياً إلى مدينة أخرى مكثنا فيها يومين ثم عدنا إلى باريس معاً وأمضينا فيها ثلاثة أيام عند أحد أصدقائه .

بعدها غادرت إلى ألمانيا .. نفس المشكلة اللغة من جديد فالألمان لا

يتكلمون إلا اللغة الألمانية ، فى ألمانيا ارتحلت أكثر لأن صديقى يملك سيارة .. وهذا ساعدنا على حرية الحركة وإن كان أفقدنا بعض المتعة من السفر فى القطار والرحلات الجماعية .

على أية حال .. مكثت فى ألمانيا لمدة أسبوع وكان صديقى يمضى إجازة مثلى .. فلم نُقمِ فى منزلهم سوى يوم واحد ، ومن ثم أخذنا فى التجوال فى ألمانيا ، بل إننا قطعنا مسافة تزيد على خمسة آلاف كيلو متر من الطرق .. وهذا كلفنا ثمن شراء وقود السيارة .. وكان هذا الثمن مناصفة بيننا .

رأيت ألمانيا أكثر من فرنسا .. كما أن صديقى الألمانى وضعه المادى جيد وله أقارب فى مناطق متفرقة من ألمانيا .. وإن كان أقاربه لم يقدموا لنا شيئاً يذكر ..

غادرت ألمانيا إلى أسبانيا ، وقد خططت لتكون الإقامة أطول فيها .

دمعتك فى أسبانيا تسبق نظرك .. ماذا ترى بالأندلس .. ألم تسمع قصيدة الرثاء فى سقوط الأندلس .

لكل شىء إذا ما تم نُقصانُ ... فلا يُغر بطيب العيش إنسانُ

هى الأمور كما شاهدتها دولٌ ... من سره زمنٌ ساءته أزمانُ

يعتصر قلبك ويعجز لسانك ، أتصف الآثار .. عظمة فى الدولة .. وعظمة فى البناء .. هذا مآلها ، كلما دخلت مسجداً اهتز قلبى،كم من الركع ذهبوا ، وكم من العباد دلفوا .. والناس مشغولة ، وهذه الفسيفساء .. وهذا عقد .. وهذا .. كأن الإسلام مبانى .

على الرغم من أننى لا أزور المسجد المجاور لنا إلا قليلاً .. لكن مساجد الأندلس تختلف ، بل كم مرة دخلت مسجد الحى ولم يهتز في جفن .. وأنا

داخل للصلاة .

والآن تهتز جوانحى وأنا سائح .. لا مصل ولا عابد ، حدثنى صديقى الأسبانى عن عدل المسلمين عندما كانوا هنا . . وحدثنى عن معلومات تاريخية لا أعرف صحتها من خطئها .. كل ما هنالك أننى أحرك رأسى عند نهاية كلامه .. لا أجد جواباً .. ولكن قلبى يهتز .

يتحدثون عن التاريخ الإسلامى .. تاريخ آبائى وأجدادى .. ولا أعرف عنه شيئاً .. بل إننى أفكر .. هل أنا من أحفاد من فتح الدنيا .. ؟ غادرت الأندلس وأنا حيران بكل ما تدل عليه هذه الكلمة من معنى .

وصلت بطريق البحر إلى المغرب .. ثم سافرت بالحافلة إلى قرية صديقى المغربي وكانت بالقرب من الحدود الجزائرية ، أقبلنا على القرية ، قرية وادعة فى وسط الصحراء .. تذكرنى بقريتى .. لم نحتج للعنوان .

أين بيت جابر .. الكل يعرفه .. وجه غريب .. الكل ينظر إليّ .. أخذنى أحدهم عندما عرف أننى قادم من أرض الحرمين .. حمل حقيبتى بإصرار عجيب .. طرقنا الباب .. هذا والد جابر .. لم أُعط فرصة لأن أُعرّف نفسى ..

هذا قادم من مكة .. احتضننى .. تفضل .. حفاوة بالغة .. أخجلتنى .. لقد كانوا ينتظرون قدومى بشوق منذ أسبوع .. أعدوا لى الحفلات كما ذكروا .. بعد شرب الشاى .. وضعوا لى غرفة مرتبة .. .

فى المساء .. قالوا إن أهل القرية يريدون أن يروك .. « ماذا .. » يرونني .. وضُعتُ على المنصة فى الحفلة .. وتكلم مسئول الحفل .. فرحب بى ترحيباً حاراً .. وكان الحفل يضم أغلب أهل القرية إن لم يكن كلهم .. رجالاً ونساءً وأطفالاً .. بعدها تحدث إمام المسجد عن فضل مكة المكرمة والمدينة المنورة ..

ورحب بي .. وكانت المفاجأة الصاعقة لى .. يتحدث إليكم القادم من أرض الوحى من مهبط القرآن الكريم من أرض مكة والمدينة .. كنت قبل أبتسم عندما تحدثوا .. ولكن عندما طلبوا منى الحديث .. تغير لونى .. ارتعدت فرائصى .. انعقد لساني .. لم أتعود أن أتحدث فى جمع كهذا .. ثم ماذا أقول .. وأنا طالب الاقتصاد .. لا معلومات شرعية أو ثقافية لدي .

ولكن الله يسر .. فقد تحدثت إليهم عن الحرم والكعبة .. والحج .. وتكلمت كثيراً عن الحج فهو موضوع بسيط درسته منذ القدم ولدي معلومات سنوية متجددة من خلال الأعوام خلال موسم الحج .. ودعوت الله أن يحجوا إلى مكة .. فكان أن تعالت الأصوات والبكاء .. والتأمين .

خفت من الموقف خوفاً من الله .. بدأت أتحدث بشكل منفعل وكأننى أخاطب نفسى بالتوبة .. خنقتنى العبرة وأنا أتحدث .. فبكيت .. سكت الجميع برهة .. وأنا أصابنى ذهول من نفسى .. كأننى فى حلم عجيب .. .

قام الجميع يسلمون عليّ ويتحدثون بكلام لا أفهمه .. نصفه بكاء ونصفه الآخر بلهجة محلية .. بعد هذا المشهد وكأننى أشاهد تمثيلية وأنا بطلها .. دُعينا إلى العشاء .. وكان عشاء يكفى لجميع الحاضرين .. لكننى لم أكن أتلذذ بالأكل .. فى داخلى شيء لا أعرفه .. ذهبت إلى غرفتى وأغلقت الباب على نفسى وبكيت .. بل إننى وضعت وجهي على وسادتي .. حتى ابتلت من الدموع حاولت أن أخفض صوتى حتى لا يسمعنى أهل البيت ..

لا أعلم متى توقفت عن البكاء .. ولكن النوم غلبنى وأنا أبكى .. ولعل عناء السفر ساعدنى على النوم .. طُرق الباب عليّ .. صلاة الفجر .. خرجت إلى المسجد .. وصليت بخشوع قلب .. وبكيت فى الصلاة .. أصبحت شارد

الذهن .. لا أعلم ما أصابنى .. لا أعلم كيف قضيت أيامى .. لكن ليالى كانت بكاء وكان الشرود بادياً عليّ فى النهار ..

قررت أن أعود إلى بلادي .. رغم إصرارهم على المكوث .. ولكننى عزمت على العودة .. وكان خط سيرى إلى جدة .. انتقلت من جدة إلى مكة .. ومكثت أسبوعاً فى الحرم .. لا أخرج إلا لحاجة ضرورية .

بدأت أقرأ القرآن بتمعن .. أصلي بخشوع .. أطوف بطمأنينة ..

أين أنا عن كل هذا ؟؟ .. أين السنوات الماضية ؟؟ ..

لم أستطع أن أراجع حساباتى .. لأنه يغلبنى البكاء .. والندم الشديد .. كنت إذا تفكرت فى الماضى .. أفتح المصحف وأقرأ .. دموعى لا تفارقنى .. أين هذه الدموع فى السنين الماضية .. لا أعلم .

هدأ روعى تلك الدروس التى تقام فى الحرم .. اشتريت كتاباً بعنوان : « حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح » .

وآخر عنوانه : واحات الإيمان لعبد الحميد البلالى .

وقبل هذا وذاك ..

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب .. .

[٢٥] قصة الرغيف (١)

استدعى نائب مصر يوماً ابن الفرات فقال له : ويحك إن نيتى فيك سيئة ، وإنى فى كل وقت أريد أن أقبض عليك وأصادرك فأراك فى المنام تمنعنى برغيف ، وقد رأيت فى المنام من ليال ، وإنى أريد القبض عليك فجعلت تمتنع عليّ ، فأمرت جندى أن يقاتلوك ، فجعلوا كلما ضربوك بشيء من سهام وغيرها تتقى الضرب برغيف فى يدك فلا يصل إليك شيء ، فأعلمنى ما قصة هذا الرغيف ؟ .

فقال : أيها الوزير إن أمى منذ كنت صغيراً كل ليلة تضع تحت وسادتى رغيفاً فإذا أصبحت تصدقت به عنى ، فلم يزل كذلك دأبها حتى ماتت ، فلما ماتت فعلت أنا ذلك مع نفسى ، فكل ليلة أضع تحت وسادتى رغيفاً ثم أصبح فأتصدق به فعجب الوزير من ذلك .. وقال : والله لا ينالك منى بعد اليوم سوء أبداً .. ولقد حسنت نيتى فيك وقد أحببتك .

---

(١) الفرج بعد الشدة والضيق ، للحازمى .

opelkandl.com

[٢٦] منام ويقظة [1]

قال الشيخ الكبير : اسمع يا أخي فإني محدثك بقصتي العجيبة التي جعلتني أؤمن بالله وأخشاه وأحرص على طاعته ورضاه .

قلت : تفضل وحدثني فكلي أذان صاغية .

قال الشيخ العجوز : أويت إلى فراشي ذات ليلة وليس في بدني أدنى مرض واستغرقت في نومي كعادتي ، ولكني رأيت فيما يرى النائم حلماً ليس كالأحلام ، وأمراً عجباً لا أنساه على الأيام ، ودرساً بليغاً مؤثراً ما امتدت بي الأعوام ، فقلت له : تفضل بحلمك هذا فقد شوقتني إليه وجذبت اهتمامي بأمرك أعظم الاهتمام فما الذي رأيت ؟ وما الدرس البليغ الذي تعلمت ؟ .

قال الشيخ : لقد رأيت في المنام أني قدمت وحملت إلى قبري ، وبعد أن وسدت في مثواي ، جاءني رجلان فأجلساني وسألاني عن ربي ونبيي ، فأجبتهما الله ربي ، والإسلام ديني ، ومحمد ﷺ نبي الله إلى العالمين ، ثم قال الشيخ ؟ ليت الأمر انتهى إلى هنا فقلت : وماذا بعد ذلك ؟ .

قال : لقد أريتني بركة من القطران المغلي لها أول وليس لها آخر ، تفور وتغلي وتزبد وترغي ، وبجانبها بلاط محمي بالنار ، وعليه أناس يتوضأون من القطران يشوي وجوههم ويسقط لحومهم ثم يصلون على ذلك البلاط المحمى وملائكة العذاب بأيديهم مقامع من حديد ، لتذيقهم أصناف الشقاء والتعذيب ثم التفت إليّ أحد الملائكة وقال : هذا جزاء تارك الصلاة ، انظر إليهم إنهم

---

(١) وقائع أغرب من الخيال ، لعليّ أحمد العثمان .

يقضون كل صلاة فاتتهم فى الدنيا ، ويذوقون جزاء تفريطهم فى أول الواجبات وأهم المفروضات ، والجزاء من جنس العمل .

قال محدثي الشيخ : وبينما كنت أنظر إلى هذا المشهد المؤلم المخيف ، وأرى فوران القطران ، وإذا بقطرات المغلي تصيب جلدى وتحرق رجلى فى عدة مواضع ، فتؤلمنى أشد الألم ، واستيقظت من فورى وأنا أتلوى من شدة الألم ، وأصيح من شدة العذاب ، ونظرت فى رجلى بعد استيقاظى فوجدت آثار الاحتراق عليهما فى عدة مواضع كما رأيت فى المنام .

والحقيقة أني تعجبت مما سمعت أشد العجب ، فساورنى بعض الريب بادئ ذي بدء ، ولكن الرجل كشف عن رجليه الغطاء وأرانى بأم عينى آثار ما أصابه من بلاء ، وعلامات ما ذاقه من عذاب .

ثم أردف قائلاً : أقسم بالله العظيم الذى لا إله إلا هو أني ما أخبرتك إلا بالحق وما حدثتك إلا بما حدث لي ، كان الرجل قد اعتاد المسجد محافظة على الجماعة فيه ، فلا يتخلف إلا لمرض مقعد أو عذر قاهر مجهد ، وكنت أتوسم فيه أن يكون من السبعة الذين قال عنهم رسول الله ﷺ :

« **سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال إنى أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه** » كنت متعجباً من تقوى هذا الشيخ الوقور ، وكنت أرى تمسكه الشديد بطاعة ربه وحرصه المتين على اتباع سُنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، ولم أكن

أعرف سر تدينه والسبب فى شدة تمسكه بإسلامه قبل هذا اليوم ، ثم أردف الشيخ قائلاً : لقد بقيت والله ستة أشهر لا أستطيع المشي على قدمي ، ولا أحسن الوقوف عليهما واستمر الألم ستة شهور حتى منَّ الله علي بالشفاء ، ولم يبق إلا أثار الحروق التى رأيتها ، فقلت : إنا لله وإنا إله راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ثم استغفرت ربى وتبت إليه عن كل ما فرط منى وصدر عنى من ذنوب ، ولقد حمدت ربى فى قرارة نفسى وقلت فى سرى كما علمت عن رسول الله ﷺ : الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيراً من خلقه ، وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلاً .

ثم قال الشيخ : هل تعلم سر مجازاتى بهذا البلاء ؟ قلت : الله تعالى أعلم ، فقال : لقد كنت عاصياً لله تعالى ، آكلاً للمال الحرام ، ولذلك فإن كل قطرة أصابتنى تشبه الدينار الذهبي وقد جازانى ربى ببعض ما أستحق وإنه لخير لى ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (١) ، وأردف قائلاً لقد كانت هذه الحادثة المؤلمة نقطة تحول فى حياتى وبداية توبة وإنابة إلى ربى ، وفاتحة صفحة جديدة مع خالقى ، فمنذ أن شفانى برحمته وأذهب عنى الألم لاأزال كما ترانى حريصاً على الجماعة فى المسجد ، بعيداً ما استطعت عن كل معصية لله ومخالفة لأمره ، ولقد أعدت للناس ما سلبت ونلت مسامحتهم قبل الأجل والمحاسبة عن كل عمل .

لقد بقيت هذه القصة لا تغيب عن بالى وأثرت فى نفسى تأثيراً بالغاً ، ودفعتنى إلى المحافظة على الطاعة وحقاً إنها لعبرة لمن يعتبر .

---

(١) سورة البقرة الآية « ٢١٦ » .

[٢٧] سوء الخاتمة (١)

قال الراوي : صحبنا على ظهر سفينة نجول بها حول البلدان طلباً لرزق الله في أرضه شاب صالح ، نقيّ السريرة ، طيب الخلق ، كنا نرى التقى يلوح في قسمات وجهه ، والنور والبشر يرتسمان على محياه ، لا تراه إلا متوضئاً مصلياً ، أو ناصحاً مرشداً ، إن حانت الصلاة أذن لنا وصلى بنا ، فإن تخلف أحد عنها أو تأخر عاتبه وأرشده ، وكان معنا على هذه السجية طيلة أسفارنا .

وألقى بنا البحر إلى جزيرة من جزر الهند فنزلنا إليها ، وكان ما تعود عليه البحارة أن يستقروا أياماً ثم يرتاحون فيها ويستجمون بعد عناء السفر الطويل ، يتجولون في أسواق المدينة ليشتروا أغرب ما يجدون فيها لأهلهم وأبنائهم ثم يرجعون إلى السفينة في الليل ، وكان منهم نفر ممن أضل الله يتيمم أماكن اللهو والهوى ومحال الفجور والبغاء ، وكان ذلك الشاب الصالح لا ينزل من السفينة أبداً ، بل يقضي هذه الأيام يُصلح في السفينة ما احتاج منها إلى إصلاح ، فيفتل الحبال ويلفها ، ويقوّم الأخشاب ويشدها ، ويشتغل بالذكر والقراءة والصلاة وقته ذاك .

قال الراوى – وعينه ترقرق بالدموع وتنحدر على لحيته – : وفي إحدى السفرات وبينما كان الشاب منشغلاً بأعماله تلك إذا بصاحب له في السفينة ممن أتبع نفسه هواها وانشغل بطالح الأمور عن صالحها ، وبسافل الأخلاق عن عاليها يهامسه ويقول :

---

(١) من شريط للشيخ أحمد القطان ، كتاب ٢٧٠ قصة وقصة للشهاوى .

صاحبى ، لِمَ أنت جالس فى السفينة لا تفارقها ؟!! لِمَ لا تنزل حتى ترى دنيا غير دنياك ؟ ترى ما يشرح الخاطر ويؤنس النفس ! أنا لم أقل لك تعال إلى أماكن البغاء وسخط الله ، ولا إلى البارات وغضب الله ، وهيهات ياصاحبى ، لكن تعال فانظر إلى مُلاعِب الثعابين كيف يتلاعب بها ولا يخافها ، وإلى راكب الفيل كيف يجعل من خرطومه له سلماً ، ثم يصعد برجيله ويديه حتى يقيمه على رجل واحدة ، وآه لو رأيت من يمشى على المسامير أتى له الصبر ، ومن يلقم الجمر كأنما هو تمر ، ومن يشرب ماء البحر فيسيغه كما يسيغ الماء الفرات ، يا أخى انزل وانظر الناس ! ، فتحركت نفس الشاب شوقاً لِمَا سمع ، فقال :

وهل فى هذه الدنيا ما تقول ؟ .

قال صاحب السوء : نعم ، وفى هذه الجزيرة ، فانزل ترى ما يسرك ، ونزل الشاب الصالح مع صاحبه ، وتجولا فى أسواق المدينة وشوارعها حتى دخل به إلى طرق صغيرة ضيقة ، فانتهى بهما الطريق إلى بيت صغير فدخل الرجل البيت وطلب من الشاب أن ينتظره وقال : سآتيك بعد قليل ولكن ! إياك إياك أن تقترب من الدار ، جلس الشاب بعيداً عن الباب يقطِّع الوقت قراءة وذكراً وفجأة إذا به يسمع قهقهة عالية ، لِيُفتح الباب وتخرج منه امرأة قد خلعت جلباب الحياء والمروءة .

أوّاه !! إنه الباب نفسه الذى دخل فيه الرجل ، وتحركت نفس الشاب فدنا من الباب ويصيخ سمعه لما يدور فى البيت وإذا به يسمع صيحة أخرى ، فنظر من شق الباب ويتبع النظرة أختها لتتواصل النظرات منه وتتوالى وهو يرى شيئاً لم يألفه ولم يره من قبل ، ثم رجع إلى مكانه ولما خرج صاحبه بادره الشاب

مستنكراً : ما هذا ؟ !! ويحك !! هذا أمر يغضب الله ولا يرضيه ، فقال الرجل : اسكت يا أعمى يا مغفل ، هذا أمر لا يعنيك .

قال الراوي : ورجعنا إلى السفينة فى ساعة متأخرة من الليل ، وبقى الشاب ساهراً ليلته تلك ، مشتغل الفكر فيما رآه ، قدا ستحكم سهم الشيطان من قلبه ، وامتلكت النظرة زمام فؤاده ، فما أن بزغ الفجر وأصبح الصباح حتى كان أول نازل من السفينة وما فى باله إلا أن ينظر فقط ، ولا شيء غير أ ن ينظر ، وذهب إلى ذلك المكان ، فما أن نظر نظرته الأولى وأتبعها الثانية ، حتى فتح الباب وقضى اليوم كله هناك واليوم الذى بعده كذلك فافتقده ربان السفينة وسأل عنه : أين المؤذن ؟ أين إمامنا فى الصلاة ؟ أين ذلك الشاب الصالح ، فلم يجبه من البحارة أحد ، فأمرهم أن يتفرقوا للبحث عنه فوصل إلى علم الربان من ذهب به إلى ذلك المكان فأحضره وزجره وقال له : ألا تتقى الله ألا تخشى عقابه ؟؟ ، عجل اذهب فأحضره ، فذهب إليه مرة بعد مرة لكن دون جدوى فلم يستطع إحضاره لأنه كان يرفض ويأبى الرجوع معهم ، فلم يكن من قائد السفينة إلا أن أمر عدة من الرجال يحضرونه قسراً فسحبوه بالقوة وحملوه إلى السفينة .

قال الراوى : وأبحرت السفينة راجعة إلى البلاد ومضى البحارة إلى أعمالهم وأخذ ذلك الشاب فى زاوية من السفينة يبكى ويئن حتى لتكاد نياط قلبه أن تتقطع من شدة البكاء ، ويقدمون له الطعام ولا يأكل ، وبقى على حاله البائسة هذه بضعة أيام ، وفى ليلة من الليالى ازداد بكاؤه ونحيبه ولم يستطع أحد من أهل السفينة أن ينام فجاءه ربان وقال له : يا هذا اتق الله ، ماذا أصابك لقد أقلقنا أنينك فما نستطيع أن ننام ، ويحك ما الذى بدل حالك ، ويلك ما الذى

دهاك ، فرد عليه الشاب وهو يتحسر : دعنى فإنك لا تدرى ما الذى أصابنى ؟ فقال الربان : وما الذى أصابك ؟ عند ذلك كشف الشاب عن عورته وإذا الدود يتساقط من سوأته ، فانزعج ربان السفينة وارتعش لما رأى وقال : أعوذ بالله من هذا وقام عنه الربان وقبيل الفجر قام أهل السفينة على صيحة مدوية أيقظتهم وذهبوا إلى مصدرها فوجدوا ذلك الشاب قد مات وهو ممسك خشبة السفينة بأسنانه ، استرجع القوم وسألوا الله حُسن الختام ، وبقيت قصة هذا الشاب عبرة لمن يعتبر أ . هـ .

obeikandl.com

[٢٨] عيب يا بابا [1]

كان يقطن مدينة مسلمة ، يعيش فى ضياع ، ولا يعرف الله إلا قليلاً ، منذ سنوات لم يدخل المسجد ، ولم يسجد لله سجدة واحدة ، وكان يسهر حتى الفجر مع رفقاء السوء فى لهو ولعب وضياع ، تاركاً زوجته المسكينة وهى تعانى من الوحدة والضيق والألم ، عجزت تلك الزوجة الصالحة الوفية ، فهى لم تدخر وسعاً فى نصحه وإرشاده ولكن دوى جدوى .

وفى إحدى الليالى جاء من إحدى سهراته العابثة ، وكانت الساعة تشير إلى الثالثة صباحاً ، فوجد زوجته وابنته الصغيرة وهما تغطان فى سبات عميق ، فاتجه إلى الغرفة المجاورة ليكمل ما تبقى من ساعات الليل فى مشاهدة بعض الأفلام الساقطة من خلال جهاز الفيديو ، فجأة فُتح باب الغرفة فإذا هى ابنته الصغيرة التى لم تتجاوز الخامسة بعد ، نظرت إليه نظرة تعجب واحتقار وبادرته قائلة : « يا بابا ، عيب عليك ، اتق الله » ، ورددتها ثلاث مرات ، ثم أغلقت الباب وذهبت .

أصابه ذهول شديد ، فقام بإغلاق جهاز الفيديو وجلس حائراً ، وكلمات ابنته الصغيرة لا تزال تتردد فى مسامعه وتكاد تقتله ، خرج فى أثرها فوجدها قد عادت إلى فراشها ، أصبح كالمجنون لا يدرى ما الذى أصابه فى ذلك الوقت ، وماهى إلا لحظات حتى انطلق صوت مؤذن من المسجد القريب ليمزق سكون الليل الرهيب .

توضأ وذهب للمسجد ولم تكن لديه الرغبة فى الصلاة ولكن أراد أن

---

(١) جريدة المسلمون « ٤٢١ » .

يتخلص من الضيق الذى يشعر به ، وما إن سجد ووضع جبينه على الأرض حتى انفجر ببكاء شديد لا يعلم له سبباً ، فهذه أول سجدة يسجدها لله – عز وجل – منذ سبع سنوات ، ومع البكاء أحسّ بأن الإيمان بدأ يسري فى داخله ؛ لقد أخرج معه ذلك البكاء كل ما فى قلبه من كفر ونفاق وفساد .

وبعد الصلاة جلس فى المسجد قليلاً ، ثم رجع إلى بيته فلم يذق طعم النوم ، ذهب لعمله وعندما دخل على صاحبه استغرب حضوره مبكراً فقد كان لا يحضر إلا فى نهاية الدوام بسبب السهر فى الليل ، ولما سأله عن السبب أخبره بما حدث البارحة ، فقال له : احمدُ الله أن سخّر لك هذه البنت الصغيرة التى أيقظتك من غفلتك ، ولم يرسل لك ملك الموت ليقبض روحك وأنت على تلك الحالة .

وفى نهاية العمل عاد إلى بيته لينال قسطاً من الراحة وهو فى شوق لروية ابنته الصغيرة التى كانت سبباً فى هدايته ورجوعه إلى الله ، دخل البيت فاستقبلته زوجته وهى تبكى فقال لها : مالكِ يا امرأة ؟ فجاء جوابها كالصاعقة : لقد ماتت ابنتك .. لم يتمالك نفسه من هول الصدمة ، وانفجر فى البكاء ، وبعد أن هدأت نفسه تذكر أنّ ما حدث له كان ابتلاء من الله يختبر إيمانه ، فحمد الله – تعالى – وقام بالاتصال بزميله ، وطلب منه الحضور لمساعدته ، حضر صاحبه وأخذ الطفلة وغسلها وكفنها ، وصلوا عليها جميعاً ، ثم ذهبوا بها إلى المقبرة فقال له صاحبه : لا يليق أن يدخلها فى القبر غيرك ، فحملها والدموع تملأ عينيه ووضعها فى اللحد وهو يقول :

« أنا لا أدفنُ ابنتي وإنما أدفنُ النور الذى أضاءَ ليَ الطريقَ ... أنا لا أدفنُ ابنتي وإنما أدفنُ النور الذى أضاءَ ليَ الطريقَ ... » . أ . هـ .

فيها لها من عظة وعبرة ، فهل من معتبر ؟!! .

[٢٩] اليمين على من أنكر [١]

اقترض السيد « ... » من الحاج إبراهيم مبلغاً من المال على أن يرده إليه في نهاية العالم المقبل ... وسجل المبلغ في دفاتر الحسابات ، وأبدى السيد « ... » شكره وامتنانه وأصر على كتابة كمبيالة ، ولكن الحج إبراهيم الرجل الصالح قال له : لا شكر على واجب وبيني وبينك الله فهو نعم الوكيل ونعم الشهيد ، وبعد سنة تقريباً مات الحاج إبراهيم بالسكتة القلبية ... وترك زوجة وأربعة أطفال أكبرهم في الثالثة عشرة من عمره ، وراجعت الزوجة دفاتر زوجها المتوفى وسجلاته التجارية فعرفت ما لزوجها من ديون على الناس ، فبعثت إلى السيد « ... » تطالبه بما لزوجها عليه من دين ، ولكن السيد « .. » أنكر أنه مدين بشيء لزوجها ، وزعم أنه دفع ما كان عليه من دين لزوجها .. وتسامع الناس بما حدث وانقسم الناس إلى قسمين : قسم يؤيد ورثة الحاج إبراهيم ويذكرون أنه كان رجلاً صالحاً يقرض النقود حسبة لله بدون مستند أو كمبيالة وقسم يؤيدون السيد « .. » بأنه ليس من المعقول أن يدفع الحاج إبراهيم مبلغاً من النقود للسيد « .. » بدون مستند أو كمبيالة ، والتجأت زوج الحاج إبراهيم إلى بعض أهل الخير ليحملوا السيد « ... » على تبدل موقفه والاعتراف وسداد ما أخذ ، ولكنه أعرض وأصر وتمادى واستكبر كأنه صخرة عاتية ، فقامت الزوجة بعرض شكواها على المحاكم ... وجاء يوم المحاكمة ، وحضر المتهم إلى ساحة المحكمة ... يقول الحاكم في القضية « كنت في قرارة نفسي مقتنعاً بأن

---

(١) عدالة السماء ، لمحمود شيت خطاب ، بتصرف واختصار .

السيد « ... » مدين للحاج إبراهيم بهذا المبلغ ، ولكن لم يكن هناك دليل مادى غير تسجيل هذا المبلغ بخط الحاج إبراهيم فى سجل ديونه على الناس ، وهذا الدليل وحده لا يكفى لإثبات التهمة ، وأفاد السيد « ... » بأنه أعاد المبلغ إلى صاحبه بعد سنة ، وشهد أحد الرجال بأنه سمع السيد « ... » يثنى على الحاج إبراهيم ويذكر أنه انتشله من الفقر والحرمان باقراضه بعض المال حسبة لله .

ويقول الحاكم : كانت القضية كلها كريشة فى مهب الريح ، فحاولت أن أجر المتهم إلى الاعتراف بالدين لكنه كان يفلت من الاستجواب ... إن المحاكم فى مثل هذه القضية تطبق المبدأ القضائى البينة على من ادعى واليمين على من أنكر .. وقلت للمتهم : هل تُقسم بالقرآن الكريم بأنك لست مديناً للحاج إبراهيم بهذا المبلغ ولا بغيره ، وإنك دفعت ما كان له عليك من دين ؟ .

وقال المتهم : أُقسم ... ثم أقسم .. ونطقت بالحكم : البراءة .

وخرج المتهم مرفوع الرأس شامخاً من المحكمة وكان قوى البنية صحيح البدن سليماً معافى فى ريعان الشباب ، وما كاد يغادر المحكمة إلا وسمعت ضجة فأسرعت لأتبين الأمر ، فإذا بالسيد « ... » قد سقط على الأرض ميتاً على عتبة المحكمة وهتف الناس من حوله : لقد مات .. لقد مات .. يقول راوى القصة كانت زوجة الحاجة إبراهيم تسكن قريباً من دارى ، واشتقت أن أسمع الخبر منها ، فكان مما قالته ، « كان المرحوم الحاج إبراهيم باراً بجيرانه خاصة ، وبالناس عامة ، وكان يقرض المحتاجين ويكتفى بتسجيل قرضه فى سجل خاص ، وكنت ألومه على ذلك فيقول : المال مال الله وقد كنت فقيراً فأغنانى الله ... وشهدت محاكمة السيد « ... » وحكم القاضى بالبراءة ، فلما أقسم

اليمين اقشعر بدني ، فقد كنت مؤمنة بأنه كاذب وأنه اجترأ على كتاب الله تعالى وقلت أخاطب الله : اللهم إنك تعلم السر وأخفى وإنك غلام الغيوب اللهم إن كان السيد « ... » كاذباً في قسمه ويمينه فاجعله عبرة للناس ياقوى ياجبار .

وخرج المتهم من المحكمة وأنا أنظر إليه ولكنه سقط ميتاً على عتبة المحكمة لقد نجا السيد « .. » من حكم الأرض ولكنه لم ينج من حاكم الأرض والسموات .

وفي ليلة من ليالي الشتاء حيث كان الناس يأوون إلى مضاجعهم وفي ساعة متأخرة من الليل كان جرس دار الحاج إبراهيم يرن قوياً ، وكان على الباب امرأة متحشمة بالسواد يرافقها طفل في السادسة من عمره ... وفتحت زوجة الحاج إبراهيم الباب لترى من الطارق فوجدت زوج السيد « ... » ومعها ولدها الوحيد .

وقالت زوج السيد « ... » للسيدة زوج الحاج إبراهيم : « لقد أنكر زوجي بأنه مدين للحاج إبراهيم وكنت أعرف بأنه كاذب ورجوته أن يسدد ما عليه من دين وألححت عليه ولكنه مضى في غيه .. لقد دفع زوجي ثمن كذبه غالياً ، وهذا هو المبلغ الذي كان مديناً به لزوجك ، وألقت إليها بالمبلغ وانصرفت » .

وكانت القصة عبرة وعظة ، فهل من معتبر ؟!! .

[٣٠] واشتكى البعير

عن يعلى بن مرة رضي الله عنه قال : سافرت مع رسول الله ﷺ فرأيت منه شيئاً عجباً ، نزلنا منزلاً فقال : « **انطلق إلى هاتين الشجرتين فقل : إن رسول الله ﷺ يقول لكما أن تجتمعا** » .

فانطلقت فقلت لهما ذلك ، فانتزعت كل واحدة منهما من أصلها ، فمرت كل واحدة إلى صاحبتها فالتقيا جميعاً ، فقضى رسول الله ﷺ حاجته من ورائهما ، ثم قال : « **انطلق فقل لهما : لتعد كل واحدة إلى مكانها** » ، فأتيتهما ، فقلت ذلك لهما ، فعادت كل واحدة إلى مكانها .

وأتته امرأة فقالت : إن ابنى هذا به لمم « مس شيطانى » منذ سبع سنين يأخذه كل يوم مرتين ، فقال رسول الله ﷺ « **أدنيه** » فأدنته منه فتفل فى فيه « فمه » وقال : « **اخرج عدو الله أنا رسول الله** » .

ثم قال لها رسول الله ﷺ : « **إذا رجعنا فأعلمينا ما صنع** » ، فلما رجع رسول الله ﷺ استقبلته ومعها كبشان وأقط « جبن جاف » وسمن فقال لى رسول الله ﷺ « **خذ هذا الكبش فاتخذ منه ما أردت** » ، فقالت : والذى أكرمك مارأينا شيئاً منذ فارقتنا .

ثم أتاه بعير ، فقام بين يديه ، فرأى عينيه تدمعان ، فبعث إلى أصحابه فقال : « **ما لبعيركم هذا يشكوكم ؟** » ، فقالوا : كنا نعمل عليه فلما كبر وذهب عمله تواعدنا عليه لنحره غداً ، فقال رسول الله ﷺ : « **لا تنحروه واجعلوه فى الإبل يكون معها** » قال : فوسمه بسمة الصدقة ثم بعث به [١] .

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه أحمد والحاكم وصححه وأقره الذهبى .